

المعنى السياسي لانتخابات مجلس النواب الفرنسي

عام ١٩٣٦

للدكتور يوسف هيكل

[تمة ما نشر في العدد الماضي]

وأدت انتخابات الدورة الثانية التي جرت يوم الأحد الموافق ٣ مايو إلى فوز « الجبهة الشعبية » فوزا باهرا لم تكن تنتظره بهذه الصورة ، ولم يمتد خصومها أنهم سيخفون هذا الخذلان

وكان الحزب الاشتراكي الفائز الكبير في هذه الانتخابات ؛ أما الحزب الراديكالي فتبادل مراكزه مع الحزب الاشتراكي فبلغ عدده ١١٦ نائبا بعد أن كان ١٥٩ نائبا في المجلس السابق وهذه قائمة تبين عدد الأحزاب في مجلس النواب الفرنسي الجديد ، ومقدار ما يربحه أو يخسره كل منها من المقاعد :

أسماء الأحزاب	عدد النواب يوم ٣ مايو ١٩٣٦	مقدار الربح	مقدار الخسارة
الشيوعيون والشيوعيون الخارجون	٨٢	٦٢	—
الاشتراكيون	١٤٦	٤٥	—
الاتحاد الاشتراكي	٢٦	—	٩
الاشتراكيون المستقلون	١١	—	٢٦
الراديكاليون الاشتراكيون	١١٦	—	٤٣
الراديكاليون المستقلون	٣١	—	٣٦
جمهوريو اليسار	٨٤	١٢	—
الشيوعيون الديمقراطيون	٢٣	٧	—
الاتحاد الجمهوري الديمقراطي	٨٨	١٢	—
المحافظون	١١	—	٢٤
المجموع	٦١٨		

فأما الأسباب التي أدت إلى تفهقر الحزب الراديكالي ؟ وما هي العوامل التي ساعدت على فوز الاشتراكيين حتى إنهم

أصبحوا أكبر حزب في مجلس النواب الفرنسي لأول مرة في التاريخ ؟

قبل كل شيء يجب القول بأن الحزب الراديكالي الاشتراكي لن يبيد في فرنسا ، لأن هذا الحزب يمثل « البورجوازي » ، أي الطبقة المتوسطة ، وهي أعظم طبقة اجتماعية في فرنسا ، ورغم هذا فإن النجم السياسي للحزب الراديكالي أخذ يأفل لعمول بعضها نجم عنه والبعض الآخر طرأ عليه من الخارج

على رغم الظروف الحرجة التي واجهها الحزب الأكبر في مجلس نواب عام ١٩٣٢ ، فإنه لم يظهر وحدة في صفوفه ، ولا في سياسته ، ولا مقدرة على الحكم

لم يكن النظام سائدا داخل هذا الحزب ، وكثيرا ما انقسم أعضاؤه إلى فرق أثناء التصويت في مجلس النواب ، مما أدى إلى خذلان الحكومة القائمة حينئذ وكانت راديكالية ، وكثيرا ما خالف قسم كبير من الأعضاء قرار هيئتهم التنفيذية . وكثيرا ما عمل بعض الراديكاليين خلاف ما قال به رئيسهم . فهو إذن لم يكن كتلة واحدة ، بل كان منقسما بمضه على بعض حتى في أخرج الأوقات ... وإن أزمات الوزارات الراديكالية التي تماقت عام ١٩٣٣ ، وفضيحة ستافسكي التي أظهرت بأن كثيرا من الراديكاليين قد أفسدتهم أموال « الختمال » ، وأن اضطرابات ٦ فبراير ، وسيلان الدماء في شوارع باريس زمن حكم وزارة راديكالية ... كل هذا أزال الاحترام الذي كان للحزب الراديكالي الاشتراكي في أعين الشعب

وتلا ذلك انسحاب مسيو هيريو رئيس الحزب الراديكالي حينئذ والوزراء الراديكاليين من حكومة « الرئيس دومرج » ذات الشهرة الشعبية ، حينما كادت مجهودات « الشيخ الجليل » تشر وتمود على فرنسا بالخير ، مما أدى إلى سقوط هذه الوزارة الشعبية وعودة مسيو دومرج إلى « تورنق » . فأبفض موقف الراديكاليين كثيرا من أنصارهم ؛ كما أن موافقة الراديكاليين على سياسة مسيو لافال الخارجية المنافية لمبادئ أحزاب الشمال كانت سببا كبيرا في اضعاف شهرة هذا الحزب

وكانت العوامل الإيجابية التي أدت إلى تفوق الحزب الاشتراكي سببا سلبيا في خذلان الحزب الراديكالي

يمكن القول بأن الحزب الاشتراكي الفرنسي هو الحزب السياسي الوحيد الذي يستحق هذا اللقب ، إذ هو يحتوي على

كانت الأزمة المالية ، ولا سيما أزمة ميزانية الحكومة ، شديدة على فرنسا طيلة السنين الأربع الأخيرة ، وقد حاولت الحكومات السابقة حلها في تطبيق نظرية «الانتصاف في كل شيء» فلم توفق . وعملها هذا أرغم الفرنسي على اختلاف مقدراته المالية على الاقتصاد والتقتير على نفسه وعائلته ، فقلل ذلك تداول العملة من جهة ، وزاد في الأزمة الاقتصادية وفي البطالة من جهة ثانية . وقد سئم الشعب الفرنسي هذه السياسة المالية ولم يرد مجابهة أزمات ١٩٣٦ و ١٩٣٤ من جديد ، وود اتباع تجربة اقتصادية جديدة آملاً أن تكون نتیجتها حل الأزمة وإعادة الرخاء . فعمل على التخلص من النظام البرلماني القديم الذي أفسدته الأكرتريات السابقة ، فأرسل الى مجلس النواب أكرتية يسرى مؤلفة من عناصر جديدة شابة ، إذ أن ما يقرب من نصف أعضاء المجلس الجديد لم يشتركوا فيه من قبل . وهذه النفسية عملت كثيراً على خذلان الراديكاليين وإضفاف أحزاب الوسط ، وضیاع شهرة عدد كبير من رجال أحزاب اليمين

وقد ساعد مسيو لافال كثيراً في فوز هذه الجهة ! فالسياسة التي اتبعتها في جنيف ، والتي أدت الى إضفاف مركز العصبة ، ان لم يكن زوالها ، والى إبعاد باريس عن لندن ، والتي مهدت للهر هتزل الطريق لاحتلال أراضي الرين ، لم ترض الفرنسيين الذين يمتقدون بأن لا سلامة لفرنسا إلا بتقوية مؤسسة جنيف ومبدأ « السلام المشترك » ، وهم أكرتية الشعب . ولما أتت الساعة لأبداء رأيهم حكموا على سياسته باعطاء أخصامه وسيلة الحكم وكان لمسيو « دي لاروك » مجهودات عظيمة أدت الى فوز الشيوعيين والاشتراكيين ، فالشعب الفرنسي يحب للحرية ولا يبنى بالديمقراطية بديلاً . فلما قام الكونيل دي لاروك بحركته الفاشستية وأخذ فريقه « الصليب الناري » يتسع بين العائلات المثرية ، أحس الجمهور الفرنسي بالخطر الذي يهدد حريته وديمقراطيته ، فعمل على تلافيه قبل استفحاله ، فأرسل الى « قصر البربون » أكبر عدوين للفاشستية مظهراً بذلك مقته للدكتاتورية وسخطه على « السائتي مائة » . . . وهكذا تحققت كلمة مسيو برانكاريه : « كلما خافت فرنسا للدكتاتورية رمت بنفسها في أحضان اليسار »

ومما لا شك فيه أن تنظيم صفوف أحزاب اليسار ، ووضعهم منهاجاً مشتركاً للانتخابات ، كان عاملاً قوياً في تفوقهم ؛ كما أن

جميع التشكيلات الأساسية لحزب سياسي ... موحد الصفوف والنظام ساند فيه ، ولا يمكن لمعضو ما أن يقوم بعمل يخالف ما اتفق عليه الحزب دون أن ينال جزاءه . ولا تستطيع الهيئة التنفيذية ، وعلى رأسها الرئيس ، اتباع سياسة لم يقرها المؤتمر العام ... والاشتراكيون كتلة واحدة في مجلس النواب ، بصوتون جميعاً مع الحكومة أو عليها . ولهم تشكيلات اجتماعية مفيدة وتقوم بهذيب الشباب والنساء تهذيباً مدنياً وسياسياً ... فالحزب والنظام موجودان فيه وهما ما يحتاجه الشعب الفرنسي ، ولا عجب أن تكون هذه الصفات السياسية التي يتصف بها الحزب الاشتراكي قد ساعدت كثيراً على تقدير الشعب له

وللحزب الاشتراكي رئيس قدير : مسيو بلوم ، يعرف كيف يتطور ويضع مبادئ حزبه الاشتراكية في شكل يقبله قسم كبير من الشعب

إن أكرتية الشعب الفرنسي الساحقة مؤلفة من الفلاحين الصغار الذين يعملون بأيديهم مع أفراد عائلاتهم في الحقول ويمتاشون من عملهم ؛ ومن صغار التجار الذين لا يكونون ثروة ذات اعتبار . وقد تيقن مسيو بلوم بأن لا فائحة تقوم لحزبه إن لم يربح عطف هذا القسم من الشعب . ولما كان الفلاح في فرنسا متعلقاً بأرضه تملقا يفوق حد التصور ويموت في سيبلها ، رأى مسيو بلوم من الواجب عليه تأمين الفلاح على أرضه إن رام نيل صوته ؛ تخفف حدة النظرية الاشتراكية ، وأعلم الفلاح والتاجر الصغير بأن حزبه لا يريد وضع يده على جميع الأملاك والثروات ، بل على رؤوس الأموال الكبيرة ؛ وأنه يعتبر المالك والتاجر الصغيرين ضمن طبقة العمال ، والاشتراكية تحترم أملاكهم ... وهكذا تقرب مسيو بلوم وحزبه من هذه الطبقة التي كانت تماضد الحزب الراديكالي وانتزع قسماً كبيراً منها

ثم خفف الحزب الاشتراكي حدة ثورته على السياسة القومية ، وأخذ يقول بوجود الدفاع عن الوطن ، ولم يرد نفمة الاشتراكية الدولية في خطابه ... فجمع هذه العوامل الايجابية أدت إلى فوز هذا الحزب ، كما أنها كانت أسباباً سلبية لإضفاف الحزب الراديكالي

وكان لتفوق « الجهة للشيوعية » بصورة عامة على أحزاب الوسط واليمين أسباب عدة

ولحسن حظ مسيو بلوم فإن حزبه قد فاز وتسلم زمام الحكم ، والحالة الاقتصادية في فرنسا آخذة في الازدياد والتحسن ، فهو بذلك أسعد حظاً من زميله مسيو هريو الذي فاز وتسلم زمام الحكم والبلاد مجابهة أشد الأزمات الاقتصادية والمالية ، عام ١٩٣٤ و١٩٣٣ . فالانتعاش الاقتصادي الحالي يساعد مسيو بلوم كثيراً ، ويسمح له بصرف جهوده في مكافحة الصعوبات البرلمانية ، وفي تعديل هواجس السياسة الخارجية وتحسين علاقات فرنسا مع الدول وخصوصاً مع بريطانيا ... فإن تمكن مسيو بلوم من الاحتفاظ بالأكثرية التي تعاضده في مجلس النواب زالت الأزمات الوزارية التي كانت أكبر عامل في إضعاف مركز فرنسا في الدوائر الدولية ؛ ويمود للحكومة احترامها وبنائها ، وهما ضروريان لنجاح أية حكومة ؛ وبالتالي يمود لفرنسا مركزها الدولي السامي الذي كانت تتمتع به أمام المرحوم مسيو بريان . . .

فلوراك (فرنسا) يوسف هيكيل
دكتور في الحقوق

الفوضى في أحزاب اليمين وتنازعهم أصوات التتخيين وعدم إيجاد منهاج مشترك لم أدى الى خذلانهم وساعد على فوز الجبهة الشعبية . على أن هذا لم يكن كل شيء ، بل كانت الأسباب السياسية التي تحدثنا عنها أكبر عوامل للوصول الى نتيجة الانتخابات الأخيرة

— ٣ —

لقد فاز الحزب الاشتراكي وأصبح أكبر حزب في مجلس النواب ، وشكل حكومة ذات منهاج متين تؤيده أكثرية كبرى في مجلس النواب . فهل ستظل هذه الأكثرية الكبيرة معاضدة للحكومة ، أم ستجابه مسيو بلوم الصعوبات التي جابهت زميله مسيو هريو من قبل ؟ .

مما لا شك فيه أن مسيو بلوم رجل عمل و « رجل دولة » ولكن هذا وحده لا يكفي لإيجاد حكومة ثابتة ، إذ يجب ، قبل كل شيء ، أن تسند هذه الحكومة أكثرية دائمة . فالحزب الاشتراكي وحده لا يستطيع الحكم وإن اتفق مع الحزب الراديكالي فلا يكونان أكثرية . ولذا فهو في حاجة الى إشراك الحزبين الجالسين عن يمينه وعن يساره في الحكم . غير أن الحزب الشيوعي رفض الاشتراك في الحكومة ، ولكنه أيدها وليس للاشتراك والتأييد نفس المفعول ، لأنه عند ما يشارك حزب في حكومة يشارك في المسؤولية أيضاً ، فخلال الحكومة معناه خذلانه في تلك الحالة . لذا وجب عليه المدافعة عن الحكومة ومعايذتها . أما إن أيد الحكومة فحسب ، فإنه لا يشارك في المسؤولية ويستطيع سحب ثقته من الحكومة في أي وقت شاء دون أن يناله أي ضرر ؛ فتصبح الحكومة حينئذ تحت رحمة . وقد لعب الاشتراكيون هذا الدور مع الحكومات الراديكالية ، ويريد الشيوعيون الآن تمثيله مع الحكومة الاشتراكية . ومسيو بلوم أعرف الناس بالضرر الذي سيلحق حكومته إن اتبع الشيوعيون هذه السياسة

وهذه الصعوبة حجرة عثرة أمام الزعيم الاشتراكي ، فإن تمكن من حفظ الائتلاف بين الأحزاب الثلاثة ، وإن استطاع الاحتفاظ بثقة الحزب الشيوعي ، كانت لوزارته مكانة قوية وثابتة ، وأن لم يتمكن من ذلك فتجابه فرنسا سلسلة أزمات وزارية أشد خطراً من التي جابهتها خلال السنين الأخيرة ، وستكون عاقبة ذلك جرد وخيمة ولربما أدت الى حرب أهلية ...

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تاريخ المسألة المصرية

EGYPT'S RUIN

أصدق كتاب في تاريخ مصر ، ألفه تيودور رتشتين
مكاتب اللواء المال وصديق المرحومين مصطفى كامل باشا
ومحمد فريد بك ، وكتب مقدمته السير ولقرند اسكاون بلنت
صديق مصر الحميم ، ويمتاز بدقته وأمانته التاريخية وإنصافه الأمة
المصرية ودعوته إنجلترا أن تبر بوعودها وتجلو عن وادي النيل
غليها وخير الانسانية . وهو كما قال السير بلنت : « ثمرة جهد
عظيم ، بذله عقل شديد الملامة لموضوعه : لما طبع عليه من
الدقة المتناهية ، ولاحظته بالعوامل الخفية التي تسيطر على
الشؤون المالية الأوربية ، والتي تنذر إنجلترا بزوال ملكها »
ترجمه الأستاذان عبد الحميد البادى ، ومحمد بدران . ويطلب
من اللجنة والمكاتب الشهيرة ، وثمته عشرون قرشاً